بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ للاستغفار مكانةً في الدِّين عظيمةً، وللمستغفرين عند الله أجورًا كريمةً، وثمارُ الاستغفار ونتائجُه الحميدةُ في الدُّنيا والآخرة لا يحصيها إلاَّ الله، ولهذا كثرت النُّصوصُ القرآنيَّةُ والأحاديثُ النَّبويَّةُ المُرْشِدةُ إلى الاستغفار، والحاثَّةُ عليه، والمبيِّنةُ لفضله وعظيم أجره.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة النساء]، ويقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥]، ويقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الأنفال]، ويقول تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة نوح]، والآياتُ في هذا المعنى كثيرة، وهي دالَّةٌ على عظيم شأن الاستغفار وتنوُّع فوائده وثمراته.

جاء في الأثر عن الحسن البصري رحمه الله: «أنَّ رجلاً شكى إليه الجدبَ، فقال: استغْفِرِ الله، وشكى إليه آخر الفقرَ، فقال: استغْفِرِ الله، وشكى إليه آخر جفاف بُستانه، فقال: استغْفِرِ الله، وشكى إليه آخر عدم الولد، فقال: استغْفِرِ الله، ثمَّ تلا عليهم قول الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة نوح]»[1]، «أي إذا تُبتُم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرِّزق عليكم، وأسقاكم من بركات السَّماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزَّرع، وأدرَّ لكم الضَّرع، وأمدَّكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنَّات فيها أنواع الثِّمار، وخلَّلها بالأنهار الجارية بينها»[2]، وفي هذا دلالةٌ على عِظم فوائد الاستغفار وكثرة خيراته وتعدُّد ثمراته.

وهذه الثَّمرات المذكورة هنا هي ممَّا يناله العبدُ في دنياه من الخيرات العميمة والعطايا الكريمة والثَّمرات المتنوِّعة، وأمَّا ما يناله المستغفرون يوم القيامة من الثَّواب الجزيل والأجر العظيم والرَّحمة والمغفرة والعتق من النَّار والسَّلامة من العذاب، فأمرٌ لا يُحصيه إلاَّ الله تعالى.

روى ابن ماجه في «سننه» عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»، وسنده صحيح[3].

وروى الطَّبراني في «الأوسط» والضِّياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» عن

(١) ذكره الحافظ في «الفتح» (١١/٩٨).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٨/٢٦٠).
(٣) «سنن ابن ماجه» (٣٨١٨)، وصحَّحه العلاَّمة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٩٣٠).

الزُّبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسُرَّهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الاسْتِغْفَارِ»[4].

وروى أبو داود والتِّرمذي وغيرُهما عن بلال بن يسار بن زيد، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[5].

وفي هذا الحديث دلالةٌ على أنَّ الاستغفارَ يمحو الذُّنوبَ سواء كانت كبائر أو صغائرَ، فإنَّ الفرارَ من الزَّحفِ من الكبائر.

لكن ممَّا ينبغي أن يُعلم هنا أنَّ المرادَ بالاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، فهو حينئذ يُعدُّ توبةً نصوحًا تجُبُّ ما قبلَها، أمَّا إن قال المرءُ بلسانه: أستغفر الله، وهو غير مقلع عن ذنب، فهو داعٍ لله بالمغفرة، كما يقول: اللَّهمَّ اغفر لي، وهذا طلبٌ من الله المغفرةَ ودعاءٌ بها، فيكون حكمُه حكمَ سائر الدُّعاء لله، ويُرجى له الإجابة.

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّ القائلَ: أستغفر الله وأتوب إليه له حالتان:

◆ الأولى: أن يقول ذلك وهو مصرٌّ بقلبه على الذَّنب، فهذا كاذبٌ في قوله: وأتوب إليه؛ لأنَّه غير تائب، فإنَّ التَّوبةَ لا تكون مع الإصرار من العبدِ على الذَّنب.

◆ والحالة الثَّانية: أن يقول ذلك وهو مقلعٌ بقلبه وعزمه ونيَّته عن المعصية، وجمهور أهل العلم على جواز قول التَّائب: أتوب إلى الله، وعلى جواز أن يُعاهد العبدُ ربَّه على أن لا يعود إلى المعصية أبدًا، فإنَّ العزمَ على ذلك واجبٌ عليه، فهو مخبرٌ بما عزم عليه في الحال، وقد تقدَّم أنَّ من شروط قبول التَّوبة العزمَ من العبد على عدم العودة إلى الذَّنب، فإن صحَّ منه العزمُ على ذلك قُبلت توبتُه، فإن عاد إلى الذَّنب مرَّةً ثانيةً احتاج إلى توبةٍ أخرى ليغفر له ذنبه، ولهذا فإنَّ العبدَ ما دام كذلك كلَّما أذنب تاب وكلَّما أخطأ استغفر فهو حريٌّ بالمغفرة وإن تكرَّر الذَّنب والتَّوبة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ فيما يحكي عن ربِّه عز وجل: قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»[6]، أي: ما دُمتَ تائبًا أوَّاهًا منيبًا.

فهذه توبةٌ مقبولةٌ وإن تكرَّر الذَّنبُ، فإنَّه كلَّما كرَّر العبدُ التَّوبةَ مستوفيًا شروطها قُبِلَت منه، أمَّا الاستغفار بدون توبة فلا يستلزم المغفرةَ، بل هو سببٌ من الأسباب الَّتي تُرْجَى بها المغفرة.

(٤) «الأوسط» (٨٣٩)، و«الأحاديث المختارة» (٨٩٢)، وحسَّنه العلاَّمة الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» (٢٢٩٩).
(٥) «سنن أبي داود» (١٥١٧)، و«سنن التِّرمذي» (٣٥٧٧).
(٦) «صحيح البخاري» (٧٥٠٧)، و«صحيح مسلم» (٢٧٥٨).

ولا ينبغي للعبدِ أن يقنَطَ من رحمة الله وإن عظُمت ذنوبُه وكثرت وتنوَّعت، فإنَّ بابَ التَّوبة والمغفرة والرَّحمة واسعٌ، فالله يقول: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة الزمر].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «مَنْ آيَسَ عِبادَ الله مِنَ التَّوْبَةِ بَعْدَ هَذَا فَقَدْ جَحَدَ كِتَابَ الله عزَّ وجلَّ»[7].

ويقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [التوبة : ١٠٤]، ويقول: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة النساء]، وقال الله تعالى في حقِّ المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ [سورة التوبة]، وقال في شأن النَّصارى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة المائدة]، وقال في شأن الكُفَّار: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ﴾ [سورة البروج : ١٠].

قال الحسن البصري: «انظروا هذا الكرمَ والجودَ، قتلوا أولياءَه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»[8].

فما أعظم فضل الله وما أوسع عطاءَه ومغفرتَه، فنسأله سبحانه أن يشملنا بعفوه وأن يَمنَّ علينا بمغفرته إنَّه هو الغفور الرحيم.

ملازمة النَّبيِّ ﷺ للاستغفار

لقد كان إمامُ المرسَلين، وقدوةُ الموحِّدين، وقائدُ الغُرِّ المُحجَّلين الرَّسولُ الكريم ﷺ كثيرَ الاستغفار والتَّوبة إلى الله، مع أنَّه ﷺ قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الفتح]، وفي «الصَّحيح» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى قام حتَّى تتفطَّر رجلاه، فقلت له: يا رسول الله! أتصنعُ هذا وقد غفر لك الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ فقال: «يا عائشة، أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[9].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه الَّتي لا يشاركه فيها غيرُه، وليس في حديثٍ صحيح في ثواب الأعمال لغيره غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وهذا فيه تشريفٌ عظيمٌ للرَّسول ﷺ، وهو صلوات الله وسلامه عليه في جميع أموره على الطَّاعة والبرِّ والاستقامة الَّتي لم ينلها بشرٌ سواه،

(٧) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/٥٩).
(٨) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٥٨).
(٩) «صحيح البخاري» (٤٨٣٧)، و«صحيح مسلم» (٢٨٢٠).

لا من الأوَّلين ولا من الآخرين، وهو أكملُ البشر على الإطلاق، وسيِّدُهم في الدُّنيا والآخرة»[١٠].

ومع ذلك كلِّه فقد كان صلواتُ الله وسلامه عليه يُكثر في جميع أوقاته من الاستغفار، وكان الصَّحابةُ رضي الله عنهم يُحصون له في مجالسه الاستغفارَ الكثيرَ.

روى مسلم في «صحيحه» عن الأغرِّ المزني رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[١١].

وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[١٢].

وروى أبو داود والتِّرمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنَّا نعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلسِ الواحدِ مائةَ مرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[١٣].

وأخرج النَّسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ جمع النَّاس فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[١٤].

وقد ثبت عنه ﷺ في الاستغفار صيغٌ عديدةٌ، منها قوله: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيتُ أحدًا أكثرَ من أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ»[١٥].

ومنها قوله: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، وقد تقدَّم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ومنها ما ثبت في «الصَّحيحين» أنَّ أبا بكر قال للنَّبيِّ ﷺ: عَلِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي؟ قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[١٦].

ومنها ما في «الصَّحيحين» من حديث أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يدعو بهذا الدُّعاء: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[١٧].

ومنها ما ثبت في «صحيح مسلم» أنَّه كان من آخر ما يقوله ﷺ بين التَّشهُّد

(١٠) «تفسير القرآن العظيم» (٧/٣١٠).
(١١) «صحيح مسلم» (٢٧٠٢).
(١٢) «صحيح البخاري» (٦٣٠٨).
(١٣) «سنن أبي داود» (١٥١٦)، و«سنن التِّرمذي» (٣٤٣٤)، وصحَّحه العلاَّمة الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» (٥٥٦).
(١٤) النَّسائي في «الكبرى» (١٠٢٦٥)، وهو عند مسلم من حديث الأغرِّ (٤/٢٠٧٦) بلفظ مقارب.
(١٥) «السُّنن الكبرى» للنَّسائي (١٠٢٨٨)، و«صحيح ابن حبَّان» (٩٢٨).
(١٦) «صحيح البخاري» (٨٣٤)، و«صحيح مسلم» (٢٧٠٥).
(١٧) «صحيح مسلم» (٢٧١٩).

والتَّسليم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[١٨].

ومنها، وهو أتمُّها وأكملُها ما ثبت في «صحيح البخاري» عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ»[١٩].

فهذا الحديث لمَّا كان جامعًا لمعاني التَّوبة، مشتملاً على حقائقِ الإيمان، مُتضمِّنًا لمحضِ العبوديَّة، وتمام الذُّلِّ والافتقار فاق سائرَ صِيَغ الاستغفار في الفضيلة وارتفع عليها.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «فتضمَّن هذا الاستغفار الاعترافَ من العبد بربوبيَّة الله وإلهيَّته وتوحيده، والاعتراف بأنَّه خالقُه، العالمُ به؛ إذ أنشأه نشأةً تستلزمُ عجزَه عن أداء حقِّه وتقصيره فيه، والاعتراف بأنَّه عبدُه الَّذي ناصيتُه بيده وفي قبضته، لا مهربَ له منه، ولا وليَّ له سواه، ثمَّ التزامُ الدُّخول تحت عهده. وهو أمره ونهيه الَّذي عهدَه إليه على لسان رسوله، وأنَّ ذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب أداء حقِّك؛ فإنَّه غير مقدورٍ للبشر، وإنَّما هو جهد المقلِّ، وقدر الطَّاقة، ومع ذلك فأنا مصدِّقٌ بوعدك الَّذي وعدتَّه لأهل طاعتك بالثَّواب، ولأهلِ معصيتك بالعقاب، فأنا مقيمٌ على عهدِك مُصدِّقٌ بوعدِك، ثمَّ أفزع إلى الاستعاذة والاعتصام بك من شرِّ ما فرَّطتُ فيه من أمركَ ونهيكَ، فإنَّك إن لَم تعذِّني من شرِّه، وإلاَّ أحاطت بي الهلكة، فإنَّ إضاعةَ حقِّك سببُ الهلاكِ، وأنا أُقرُّ لك وألتزم بنعمتك عليَّ، وأقرُّ وألتزم وأنجع بذنبي، فمنك النِّعمةُ والإحسانُ والفضلُ، ومنِّي الذَّنْبُ والإساءةُ، فأسألكَ أن تغفر لي بمحوِ ذنبي، وأن تُعفيني من شرِّه، إنَّه لا يغفر الذُّنوبَ إلاَّ أنتَ، فلهذا كان هذا الدُّعاءُ سيِّدَ الاستغفار»[٢٠].

ومن صِيَغ الاستغفار الَّتي وردت عنه ﷺ ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أنَّها سمعت رسول الله ﷺ وأصْغَت إليه قبل أن يموت وهو مسندٌ إليها ظهرَه يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى»[٢١].

وفي هذا إشارةٌ إلى ملازمته ﷺ للاستغفار في كلِّ أوقاته وجميع أحيانه إلى آخر لحظات حياته الكريمة صلواتُ الله وسلامه عليه، وكما أنَّه ﷺ كان يختم أعماله الصَّالحة، كالصَّلاة والحجِّ وقيام اللَّيل وسائر مجالسه بالاستغفار، فقد ختم حياتَه كلَّها به، رزقنا اللهُ حسنَ الاقتداء به والاتِّباع لنهجه، ونسأله سبحانه أن يرزقنا الخاتمة الحسنة، إنَّه سميع مُجيبٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

(١٨) «صحيح مسلم» (٧٧١).
(١٩) «صحيح البخاري» (٦٣٠٦).
(٢٠) «مدارج السَّالكين» (١/٢٢١-٢٢٢).
(٢١) «صحيح البخاري» (٤٤٤٠).





